

الباب الزاهر والباب الفاجر

وطريقة نشره المثلث

لئن كان علماء اللغة في شرقنا قد خالطوا الأعراب وجمعوا شوارد اللغة ونواودها ، وهم بعد الرواد الأقدمين من علماء اللغة: أبو بكر دريد في جمهورته وأبو منصور الأزهري في تهذيبه ، فان المغاربة من علماء اللغة الأندلسية كالزبيدي^(١) وأبن التیان وأبان بن السيد القرطي لم يقتصروا في خدمة اللغة بخاروا إخوانهم المشارقة ، وأنجحوا من مصنفات اللغة ما هو بالتقدير جدير .

ثم طرس على آثارهما الجوهري ، وأحمد بن فارس وأضرابها فخرروا المفردات وفسروها ، ثم نشأ في القرن السادس ابن سيده فالـ الخصـص على الأجناس ، وهو في الحقيقة من أجل ما كتب في معناه وكأنه جمع في سفره هذا جميع مصنفات الأقدمين التي لم يستطعو ترتيبها كما يجب ، ثم رأى أن يجمع هذه المفردات المبعثرة ويرتيبها ترتيب العين فجمع شواردها في نحو عشرين مجلداً ، ولو سوء الطالع أن هذا المعجم الضخم وهو (الحكم) لم تصل أبدي المشارقة إليه إلا في أواخر القرن السادس أو السابع ولعل الإمام الصاغاني المتوفى سنة ٦٥٠ هـ لم تبلغه مراجعـ ابن سيدـ ولا كتابـ أبان وغيرـ من مؤلفـاتـ الأندلسـينـ ، كما أن ابن سيدـ البصـيرـ لم يصلـ إـلـيـهـ لـسوءـ الـحظـ تـهـذـيبـ الأـزـهـريـ حـمـاماـ بـدـلـ علىـ أنـ المـشارـقةـ لمـ يـطـلـعواـ عـلـيـ ماـ صـنـفـ بـالـمـغـرـبـ

(١) محمد بن الحسن عبيد الله بن مسحح الزبيدي الأندلسي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ



من أسفار اللغة إلا آخر القرن السادس ، كان أن هؤلاء الأئمة من المغاربة لم يقفوا على ما كان أئمه المغاربة المحققون في ديارنا إلا في القرن السادس . وهذا صاحبusan عبد الله محمد بن المكرم الذي 'خلق' بعد ابن سيده بنحو قرنين ، ومع ذلك لم يتتوافق للاستفادة من حكم ابن سيده وقد بحث الله بدمشق حرصها الله من توثي الجمع بين الحكم والتهذيب والصحاح في عهد الملك المنظيم ابن الملك العادل ، فجمع بين الحكم والتهذيب والصحاح بيد أنه مع كل هذه الجهود اللغوية لم ينشأ في القرن السادس وأوائل السابع رجل "عني" بجمع شوارد هذه اللغة وفوائدها من جميع الكتب التي أتتها الرثابة الأقدمون ثم أفنى عمره في الاشتغال بهذا الأمر الخطير ، ولم يستغل بغيره ، ووقف على خزائن دور العلم ببغداد التي كانت تجمعت ما صنفه السلاطون حتى كارثة هولاكو ، لم يتوفى ذلك كله لغير الإمام الصاغاني فألف تكملة الصحاح للجوهرية ، جاءت في خمسين مجلداً وجمعتها في ست مجلدات خمسة منها جمع البحرين ، ثم رغب إليه الوزير ابن العلقمي في تأليف كتاب جامع لما تفرق من شذور اللغة وشواردتها ، فلبى الطلب الذي يهواه وصنف لهذا الكتاب الراخر إلى أنت وآفاه يومه ، وقد بلغ مادة (بكم) فقال فيه بعض حساده :

إِنَّ الصَّاغَانِيَ الَّذِي حَازَ الْعِلْمَ وَالْحُكْمَ
كَانَ قَصَارَى أَمْرِهِ أَنْ أَنْتَ إِلَى (بَكْمَ)

بذلك يتظهر لنا أنه ليس لدينا من نموذل عليه في اللغة العربية الصحيحة غير الإمام الصاغاني . ذلك النبي نصيحة علمه وجمع شوارد اللغة وفرائده لا أنه كان في القرن السابع الذي لم يؤلف في اللغة أحد مثله ولا من جاء

من بعده ، وهذا هو السبب الذي من أجله نعتقد أنه لا أتفق ولا أصلح من نشر العُباب الزاحر واللُّباب الفاجر ؟ ومن ينـطالـع أن منه عـدـة نـسـخـةـ في الخـزـائـنـ وـمـنـهـ ، ماـهـوـ بـخـطـ"ـ المؤـلـفـ ولاـغـاـيـةـ لـاستـزـيدـ وـرـاءـهـ ، وـخـطـهـ النـسـخـيـ جـيـلـ ، كـتـبـهـ بـغاـيـةـ الـخـدـقـ"ـ وـالـصـحـيـصـ مـاـمـاـ لـمـ نـجـدـ لـهـ نـظـيرـ"ـ ، فـنـ وـاجـبـ الـعـربـ الـعـلـمـيـ وـالـقـوـيـ"ـ بـلـ مـنـ أـجـلـ أـعـمـالـ مـجـمـعـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ بـدـمـشـقـ"ـ ، وـقـدـ خـلـقـ لـحـيـاـتـ لـسـانـ الـعـربـ أـنـ يـوـلـفـ لـجـنـةـ لـفـوـيـةـ تـنـافـلـ مـنـ حـدـأـقـ الـلـفـةـ وـعـشـاقـهـ لـقـوـمـ بـنـشـرـ هـذـاـ السـفـرـ الـجـلـيلـ وـبـالـأـعـمـالـ الـعـلـمـيـةـ التـالـيـةـ .

أـنـ يـعـارـضـ الـعـبـابـ بـسـائـرـ مـؤـلـفـاتـ الصـاغـانـيـ الـيـمـنـيـ مـنـهـ وـلـهـ الـحمدـ نـسـخـةـ فيـ الـأـرـضـ جـلـيلـةـ ثـمـ يـعـارـضـ بـمـحـكـمـ اـبـنـ صـيـدـهـ وـلـاـ مـنـاصـ مـنـ ذـلـكـ"ـ وـحـيـنـاـ تـبـلـغـ الـلـجـنـةـ الـلـفـوـيـةـ مـادـةـ (ـبـكـمـ)ـ تـبـتـمـ هـذـهـ مـادـةـ وـمـاـ بـعـدـهـ مـنـ الـأـحـرـفـ الـقـلـيلـ الـبـاقـيـةـ بـالـرـجـوعـ إـلـىـ كـتـابـ مـجـمـعـ الـبـحـرـيـنـ بـعـدـ مـعـارـضـةـ مـاـ فـيـهـ بـالـتـكـلـةـ وـالـخـاشـيـةـ وـصـلـتـهـ وـبـالـمـحـكـمـ أـيـضاـ"ـ مـعـ مـرـاجـعـةـ لـسـانـ الـعـربـ وـتـاجـ الـعـروـسـ وـغـيـرـهـ مـنـ كـتـبـ الـلـفـةـ الـصـحـيـحـةـ وـتـدـوـنـ الـمـلـاـحظـاتـ فـيـ الـخـواـصـيـ"ـ ، وـتـسـمـرـ هـذـهـ الـلـجـنـةـ الـلـفـوـيـةـ الـمـبـارـكـةـ عـلـىـ عـمـلـهـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـ يـتـمـ الـعـبـابـ فـيـتـمـ لـنـاـ بـتـامـهـ (ـكـتـابـ الـلـفـةـ الـعـرـبـيـةـ)ـ الـذـيـ لـاـ يـنـوـبـ عـنـهـ التـاجـ وـلـاـ الـلـاسـانـ وـلـاـ غـيـرـهـ مـاـ لـمـ يـتـفـوـرـ لـأـحـدـ مـنـ أـمـةـ الـلـفـةـ الـمـحـقـقـينـ الـأـثـبـاتـ مـاـ تـوـفـرـ لـأـمـاـنـاـ الصـفـانـيـ الـعـمـرـيـ"ـ الـذـيـ لـمـ "ـتـفـتـحـ الـعـيـنـ"ـ عـلـىـ مـثـلـهـ رـحـمـهـ اللـهـ"ـ ، وـهـذـاـ لـعـمـرـيـ تـأـوـيلـ"ـ رـوـبـاـ الـجـدـ الـذـيـ أـخـذـ بـيـنـ مـعـجمـ خـشـمـ سـمـاءـ (ـالـلـامـعـ الـمـعـلـمـ الـعـجـابـ الـجـامـعـ"ـ بـيـنـ الـمـحـكـمـ وـالـعـبـابـ)ـ وـلـمـ يـذـنـ لـهـ تـصـيـفـهـ وـلـمـ أـرـ مـنـهـ نـسـخـةـ"ـ أـوـ جـزـءـاـ"ـ فـيـ الـخـزـائـنـ الـيـمـنـيـةـ وـقـفـتـ عـلـيـهـاـ .

عبد العزيز المبني

م (٤)

مـرـفـقـهـ